

جدلية العلاقة بين الليبرالية الحديثة وما بعد الحداثة (تقويض البنية الأخلاقية للمجتمعات الإنسانية).

الدكتور سومر منير صالح*

(تاريخ الإيداع ٢٠٢٤ / ٨ / ١٩ - تاريخ النشر ٢٠٢٤ / ١٠ / ٢٢)

□ ملخص □

يتناول هذا البحث تحليلاً جدلية العلاقة بين الليبرالية الحديثة وما بعد الحداثة، ويحلل طبيعة العلاقة بين الليبرالية الحديثة وما بعد الإنسانية، بعد بحث جدلية العلاقة بين ما بعد الحداثة وما بعد الإنسانية، ويهدف إلى فهم تأثير الليبرالية الحديثة على البنية الأخلاقية الإنسانية، وتحليل الآليات والديناميات التي تعمل بها تلك الأدوات في سبيل نشر الأيديولوجيا الليبرالية ما بعد الحداثة، وذلك من خلال اختبار فرضيات بحثية رئيسية محددة: الأولى منها تنطلق من وجود تداخل مفاهيمي واضح بين الليبراليتين الجديدة والحديثة يهدر المعنى للمصطلحين المتناقضين، والافتراض الثاني أن الليبرالية الحديثة هي منتج ما بعد حداثي فكرياً وسياسياً، وبالتالي أخلاق الليبرالية الحديثة هي أخلاق ما بعد الحداثة ذاتها، والافتراض الثالث تُعدّ فلسفة (ما بعد الإنسانية النيولبرالية) الأيديولوجيا الرئيسة لمرحلة ما بعد الإنسان، أما الافتراض الأخير تُعدّ المجتمعات الافتراضية أداة رئيسة لنشر أيديولوجيتها، مستعينة بالعقل الظنوني الشكيّ المستند إلى التحيزات المعرفية في صراعها مع الثقافات البشرية سعياً وراء تدمير قيمها الأساسية، وباستخدام المنهجين المقارن والتحليلي، تم اختبار الفرضيات البحثية على أربع مباحث، بنتيجتها، توصل البحث إلى نتائج موضوعية أهمها: أن (الليبرالية الحديثة) منتج ما بعد حداثي، وأيديولوجيا لتصنيف البشر، وفق المبدأ العام للمنافسة الإنسانية، وأخلاق ما بعد الحداثة هي أخلاق النيولبرالية، الداعية إلى بناء الوعي ذاتياً وليس مجتمعياً، والهدف تسويق الشذوذ الجنسي ليصبح طابعاً مميزاً لسمات ما بعد الحداثة، من خلال دور أقلّ للدولة في نظام أخلاقي فوضوي فردي وليس جمعي تعاقدي اتفاقي، وختم الباحث أن (ما بعد الإنسانية النيولبرالية) هي أيديولوجيا ما بعد الإنسانية إذا هيمنت عليها الليبرالية الحديثة.

كلمات مفتاحية: الليبرالية الحديثة، الليبرالية الجديدة، ما بعد الإنسان، ما بعد الإنسانية، ما بعد الحداثة.

* عضو هيئة تدريسية في كلية العلاقات الدولية والدبلوماسية في جامعة الشام الخاصة

The Dialectic of the Relationship between Neo-Liberalism and Post-Modernism (Undermining the Moral Structure of Human Societies)

Dr. Somer Moneer Saleh*

(Received 19/8/2024.Accepted 22/10/2024)

□ABSTRACT □

This research analyzes the dialectical relationship between Neo-Liberalism and Post-Modernism. It analyzes the nature of the relationship between Neo-Liberalism and Post- Humanism, after examining the dialectical relationship between Post-Modernism and Post- Humanism. **These research tests specific hypotheses:** There is a clear conceptual overlap between Neo-Liberalism and New- Liberalism, each of which has its own historical context and social and economic philosophy .Neo-Liberalism is an intellectual and political post-modern product, and therefore the ethics of Neo-Liberalism are the ethics of Post-Modernism itself. The philosophy of neoliberal Trans-Humanism is the main ideology of the post-human era. Virtual communities are a major tool for spreading Neo-Liberalism, using a skepticism mind based on cognitive biases. The researcher used comparative and analytical methods to test the research hypotheses. **The research reached objective results:** Neo-Liberalism is the ideology of classifying human beings, according to the general principle of human competition. Modern liberalism wants a lesser role for the state in an individualistic, anarchic moral system than in a collective, contractual, and consensual system. **The researcher concluded that** (Neoliberal Trans-Humanism) is the ideology of Post-Humanism.

Keywords: New-Liberalism, Neo-Liberalism, Post-Humanism, Post-Modernism.

* a faculty member at the Faculty of international Relations and Diplomacy -at Al sham private university.

المقدمة

اتخذت الليبرالية الحديثة مساراً غير منتظم -عموماً- منذ بداية القرن الماضي، تباطأ بدايةً بفعل نتائج الحربين العالميتين، لكنه اتخذ مساراً تصاعدياً منذ بداية السبعينيات من القرن الماضي مع الموجة الثالثة للعولمة الرأسمالية....، بدايةً تمت صياغتها كمشروعٍ فكريٍّ وسياسيٍّ في العام ١٩٣٨، فشل في إثبات نفسه حينها أمام سياسات الديمقراطية الاجتماعية التي تبناها الغرب آنذاك بعد الحرب العالمية الأولى والتي ازدهرت في الحقبة الكينزية (جون مينارد كينز) الذي دعا إلى **الاقتصاد المختلط**، لتعود بعدها الليبرالية الحديثة لصدارة المشهد الاقتصادي والاجتماعي في حقبة السبعينيات لتمثل سياسات (ريغان - تاتشر) بداية المسار التصاعدي لليبرالية الحديثة، والتي حظيت بقبولٍ متزايدٍ في الغرب كاستراتيجيةٍ اقتصاديةٍ وسياسيةٍ سيما فترة ما بعد الحرب الباردة، ولكن، مع اندلاع الأزمة المالية العالمية في العام (٢٠٠٨) عاد الجدل حول السياسات النيوليبرالية الاقتصادية والاجتماعية سيما المشكلة منها بالليبرالية الحديثة كأيدولوجيا سياسية واقتصادية.

انطلاقاً من ذلك الإشكال المفاهيمي، ستكون الأولوية في هذا البحث لتأصيل مفهومٍ الليبرالية الحديثة والجديدة، وإدراك الفواصل المعرفية الدقيقة التي تميز كليهما، ومن ثمّ البحث في علاقة الليبرالية الحديثة مع سياق ما بعد الحداثة الفلسفي.

أولاً: مشكلة البحث وتساؤلاتها الرئيسية.

بعكس الليبرالية التقليدية والتي تُعدّ النظرية السياسية لمسار الحداثة بوجهيه الفلسفي والعلمي، مثلت الليبرالية الحديثة سياقاً متصلاً بالنظرية الليبرالية من جهة، وسياق ما بعد الحداثة من جهةٍ أخرى، ولكنها كانت أكثر ارتباطاً بالشق الاقتصادي من الليبرالية وهي الرأسمالية، وتطورت مع تطور الرأسمالية ذاتها في سياق العولمة الثالث، لتتحول مع نهاية القرن الماضي إلى أيدولوجيا متكاملة (سياسية، اقتصادية، اجتماعية)، تُناقض الجذر الفلسفي لليبرالية الكلاسيكية، وتقوّض سردياتها الكبرى، ومقولاتها وأدواتها الفكرية والسياسية، سيما قيم العقل، العقلانية، الموضوعية، الحرية، لتحل محلّها العقلية الشكوكية الظنونية **skepticism mind**، الفردانية المطلقة، العدمية، التشكيك، والتقويض... الأمر الذي ينعكس بمجمله على البنية الأخلاقية للمجتمعات الإنسانية، والتي تمر بمرحلة انتقالٍ نحو المجتمعات ما بعد الإنسانية، بما تحمله تلك المرحلة من معالم تساهم في انتشار الليبرالية الحديثة كأيدولوجيا شاملة، إستناداً إلى ما تقدم، يحاول البحث الإجابة على جملةٍ من التساؤلات البحثية أهمها:

١. ما أبرز الفروق المفاهيمية بين مصطلحي الليبرالية الجديدة والليبرالية الحديثة؟
٢. ما طبيعة العلاقة بين الليبرالية الحديثة وسياق ما بعد الحداثة الفلسفي؟ وكيف تؤثر تلك العلاقة على البنية الأخلاقية للمجتمعات الإنسانية؟
٣. هل يمكن أن تكون الليبرالية الحديثة أيدولوجيا ما بعد الإنسانية؟
٤. ما أبرز أدوات الليبرالية الحديثة؟

ثانياً: فرضيات البحث.

تنطلق الدراسة من افتراضات رئيسية محددة هي:

١. رغم الجذر الليبرالي الكلاسيكي المشترك بين الليبراليتين الحديثة والجديدة، إلا أنّ هنالك تداخل مفاهيمي واضح يهدر المعنى للمصطلحين المتناقضين تماماً، فكلّ منهما سياقاً تاريخي الخاص، وفلسفته الاجتماعية والاقتصادية، وبالتالي انعكاسات مختلفة على المجتمعات الإنسانية.

٢. الليبرالية الحديثة هي منتج ما بعد حداثي فكرياً وسياسياً، وبالتالي أخلاق الليبرالية الحديثة هي أخلاق ما بعد الحداثة ذاتها، والنظام القيمي ما بعد الحداثي هو نظام القيم النيوليبرالية القائم على نسبية الأخلاق، وتسليع العلاقات الإنسانية، وتفكيك الأديان، وتحطيم الهوية...، بما يؤدي إلى تقويض البنية الأخلاقية للمجتمعات.

٣. تُعدّ فلسفة (ما بعد الإنسانية النيوليبرالية) الأيديولوجيا الرئيسة لمرحلة ما بعد الإنسان، التي تبني الإنسان على صورة سوق رأسمالية مفرطة تفضل العرق الأبيض والمثلية الجنسية والهويات الجنسية المتغيرة.

٤. تنطلق الليبرالية الحديثة من المجتمعات الافتراضية كأداة رئيسة لنشر أيديولوجيتها، مستعينة بالعقل الظنوني الشكوكي المستند إلى التحيزات المعرفية في صراعها مع الثقافات البشرية سعياً وراء تدمير قيمها الأساسية.

ثالثاً: أهداف البحث.

يهدف البحث إلى الإجابة عن جملة التساؤلات البحثية التي حددها الباحث، وذلك للوصول إلى فهم واضح وعميق لموضوع **البحث**، سيما إدراك الفروق المفاهيمية بين الليبراليتين الحديثة والجديدة، ثم تحديد طبيعة العلاقة بين الليبرالية الحديثة وسياق ما بعد الحداثة الفلسفي من الناحية الفلسفية والأخلاقية، وتبيان أبرز أدوات الليبرالية الحديثة، في محاولة فهم مخاطر الليبرالية الحديثة على البنية الأخلاقية للمجتمعات الإنسانية، والعربية خصوصاً.

رابعاً: منهجية البحث.

سيستخدم الباحث منهجيتين أساسيتين في بحثه: الأول هو **المنهج المقارن**، والذي سيوظفه الباحث لإدراك الحدود المفاهيمية بين الليبراليتين الحديثة والجديدة، والمنهج الثاني هو **المنهج التحليلي** الذي يُستخدم فيه ثلاث عمليات وهي **التفسير**، **النقد**، **الاستقراء**، وقد يستخدم الباحث إحدى هذه العمليات، أو قد يجمع بين عمليتين أو أكثر في سياق البحث، على مستوى تحليل جدلية العلاقة بين الليبرالية الحديثة وسياق ما بعد الحداثة من جهة، وجدلية العلاقة بين الليبرالية الحديثة ومرحلة ما بعد الإنسانية، وخطرها على بنية المجتمعات العربية.

خامساً: متغيرات البحث.

المتغير المستقل: يُمثل ما بعد الحداثة المتغير المستقل الذي ترتبط فيه بقية المتغيرات الأخرى.

المتغير التابع: تمثل البنية الأخلاقية للمجتمعات الإنسانية متغيراً تابعاً.

المتغير الوسيط: تمثل الليبرالية الحديثة متغيراً وسيطاً.

سادساً: الأدبيات السابقة.

تعدّ دراسات **(الليبرالية الحديثة)**، مساراً رائداً في أدبيات الدراسات السياسية والعلوم الاجتماعية العالمية، ولكنّ حضورها ضمن أدبيات **(النظريات السياسية)** العربية كان ضمن مفهوم **(الليبرالية الجديدة)**، وتعاملت أغلب الأدبيات البحثية العربية مع الليبرالية الحديثة في سياق متشابه مع الليبرالية الجديدة، واستخدم مفهوم الليبرالية الجديدة كترجمة للمصطلح الإنكليزي (Neoliberalism) وفي ذلك ضياع مفاهيمي كبير ومؤثر، الأمر الذي شكّل صعوبة بحثية، كان لابدّ معها للباحث من تأصيل المفهومين، وفهم جدلية العلاقة بين الليبرالية الحديثة وسياق ما بعد الحداثة من جهة، ومرحلة ما بعد الإنسانية من جهة متممة، وفيما يلي نماذج من أبرز الأدبيات الغربية التي عالجت موضوع البحث، بينما خلطت الأدبيات العربية بين المفهومين:

1- Book: A Brief History of Ne'oliberalism, to the author David Harvey, publisher: Oxford University Press, 2007.

كتاب: تاريخ موجز للبرالية الجديدة، تأليف ديفيد هارفي، الناشر: مطبعة جامعة أكسفورد، ٢٠٠٧.

يتحدث ديفيد هارفي، مؤلف كتاب تاريخ موجز للبرالية الجديدة، القصة السياسية والاقتصادية لأصل الليبرالية الجديدة وكيف انتشرت عالمياً، وفي حين يُستشهد غالباً بتأثير وريجان باعتبارهما المؤلفين الرئيسيين لهذا التحول النيوليبرالي، فإن هارفي يُظهر كيف لعبت مجموعة من القوى، من تشيلي إلى الصين، ومن مدينة نيويورك إلى مدينة مكسيكو، دورها أيضاً. بالإضافة إلى ذلك، يستكشف هارفي الاستمرارية والتناقضات بين الليبرالية الجديدة من نوع كلينتون والتحول الأخير نحو الإمبريالية المحافظة الجديدة لجورج دبليو بوش. أخيراً، يبني هارفي من خلال الانخراط النقدي في هذا التاريخ الليبرالي، إطاراً ليس فقط لتحليل المخاطر السياسية والاقتصادية التي تحيط بنا الآن، ولكن أيضاً لتقييم احتمالات البدائل الأكثر عدالة اجتماعياً.

2- Scientific paper: "Postmodernism, Neoliberalism and Civil Society: A Critique of the Development Strategies in the Era of Globalization", to the author K.M. Seethi, Published By: Indian Political Science Association, Vol. 62, No. 3, Special Issue on Globalization and the State (September 2001).

ورقة علمية بعنوان: "ما بعد الحداثة والليبرالية الجديدة والمجتمع المدني: نقد لاستراتيجيات التنمية في عصر العولمة"، للمؤلف ك.م. سيثي، منشور بواسطة: الجمعية الهندية للعلوم السياسية، المجلد ٦٢، العدد ٣، عدد خاص حول العولمة والدولة (أيلول ٢٠٠١).

تدرس هذه الورقة الروابط المعقدة بين ما بعد الحداثة والليبرالية الجديدة، وهما الاتجاهان المتنافسان في مجال الثقافة والاقتصاد السياسي، وتتناول الورقة الآثار المترتبة على "تراجع الدولة" و"ظهور المجتمع المدني"، وتسعى هذه الورقة إلى تسليط الضوء على مخاطر "المواقع البديلة" للتنمية في عصر العولمة، وعدم الحذر من شأنه إيقاع المجتمعات في نفس الفخ النيوليبرالي..

مخطط البحث

مقدمة البحث وإطاره النظري.

المبحث الأول: التأسيس النظري لمفاهيم البحث.

- المطلب الأول: المقارنة المفاهيمية بين الليبراليين الجديدة والحديثة.
- المطلب الثاني: السياق التاريخي لليبرالية الحديثة.
- المبحث الثاني: جدلية العلاقة بين الليبرالية الحديثة وما بعد الحداثة.
- المطلب الأول: ما بعد الحداثة (المفهوم والفلسفة).
- المطلب الثاني: الليبرالية الحديثة منتجٌ ما بعد الحداثة.
- المطلب الثالث: الدولة والنظام الأخلاقي في فلسفة الليبرالية الحديثة - ما

بعد الحداثة.

المبحث الثالث: جدلية العلاقة بين الليبرالية الحديثة وما بعد الإنسان.

- المطلب الأول: التأسيس النظري لمفهوم ما بعد الإنسان وما بعد الإنسانية.
- المطلب الثاني: ما بعد الإنسان اتجاه ما بعد حداثي (ما بعد الإنسانية النيولبرالية).

المبحث الرابع: أدوات الليبرالية الحديثة.

- المطلب الأول: الهيرومينوطيقا (التأويل النصي في العقل الظنوني).
- المطلب الثاني: المجتمعات الافتراضية.
- المطلب الثالث: الحرب الإدراكية باستخدام التحيزات المعرفية.

الخاتمة...

قائمة المراجع.

المبحث الأول: التأصيل النظري لمفاهيم البحث.

غالباً ما يتم استخدام مصطلحي الليبرالية والحديث بسياق واحد، أو معنى واحد، وفي هذا هدرٌ تاريخيٍّ لسياق النشوء وظروفه، وتداخلٌ مفاهيميٍّ يضيع المعنى، فالمصطلحين متناقضين تماماً ولكلٍ منهما سياقاً تاريخيً الخاص وفلسفته الاجتماعية والاقتصادية، وبالتالي انعكاساتٌ مختلفةٌ على المجتمعات الإنسانية.

المطلب الأول: المقارنة المفاهيمية بين الليبراليتين الجديدة والحديثة.

النيوليبرالية (Neoliberalism) مصطلحٌ إشكاليٌّ متعدد الدلالات، يستخدم في أحد أوجهه لوصف الأيديولوجية أو النظرية الاقتصادية أو سياسة الإصلاح الاقتصادي القائمة على حرية السوق، التي تعتمد على مبدأ عدم تدخل الدولة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وهنا ينشأ لدينا إشكالٌ مفاهيميٌّ، فتارةً يتطابق المعنى تقريباً مع الليبرالية الكلاسيكية، وتارةً يذهب المصطلح إلى أفكار أولئك الذين حضروا ندوة (والتر ليبمان) في باريس العام ١٩٣٨*، ونتيجةً لذلك، نشأ جدلٌ مستمرٌ وسوء فهمٌ حول المعنى الدقيق (للنيوليبرالية - Neoliberalism) في اللغة الإنجليزية، والتي هي لغة الأصل للمصطلح، والأدبيات السياسية المتصلة بها، الأمر الذي انعكس على الأدبيات السياسية العالمية ومنها العربية التي تعاني بالأصل من أزمة المصطلح الأجنبي حين تنزيله في بنية الفكر العربي.

انطلاقاً من ذلك لابد من التمييز بين مصطلحين متقاربين عن الليبرالية، الأول هو الليبرالية الجديدة (New-liberalism) والمصطلح الثاني هو الليبرالية الحديثة (Neoliberalism).

الليبرالية الجديدة هي (نوعٌ من الليبرالية الاجتماعية ذات ميولٍ اشتراكيةٍ تهتم بالعدالة الاجتماعية، وتهدف إلى التوفيق بين حقوق الفرد والجماعة)^١، نشأت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، حين جادل مجموعة من المفكرين البريطانيين المعروفين باسم "الليبراليين الجدد" ضدّ مبادئ الليبرالية الكلاسيكية القائمة على مبدأ عدم التدخل، لصالح تدخل الدولة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، هذا الجدل الليبرالي عُرف لاحقاً بالليبرالية الاجتماعية، اعتقد الليبراليون الجدد حينها بمن فيهم توماس هيل جرين وليونارد هوبهاوس وجون أ. هوبسون، (أنّ الحرية الفردية لا يمكن تحقيقها إلا في ظلّ ظروفٍ اجتماعيةٍ واقتصاديةٍ مواتيةٍ، وأنّ الفقر والبؤس والجهل الذي يعيش فيه كثيرٌ من الناس جعل من المستحيل ازدهار الحرية والفردية)^٢، لذلك اعتقد "الليبراليون الجدد" أنّه من خلال العمل الجماعي الذي تتسقه دولةٌ قويةٌ ومركزيةٌ نحو الرفاهية يمكن تخفيف هذه الظروف، بما يساهم في ازدهار الفردية التي هي الجذر الفلسفي للليبرالية.

* في العام ١٩٣٨ قامت مجموعة من ٢٥ مثقفاً ليبرالياً، منهم والتر ليبمان، وفريدريش هايك، ولودفيغ فون ميزس، وويلهلم روبك، وألكسندر روستو، ولويس روجييه، بتنظيم ندوة والتر ليبمان، والتي سميت تكريماً لليمان للاحتفال بنشر الترجمة الفرنسية لكتاب ليبمان المؤيد للسوق "استقصاء في مبادئ المجتمع الصالح". ودعا المجتمعون إلى مشروع ليبرالي جديد، هو "الليبرالية الجديدة" وهو أحد الأسماء التي تم طرحها للحركة الناشئة، كما اتفقوا على تطوير الندوة لتصبح مؤسسة فكرية دائمة مقرها باريس تسمى المركز الدولي للدراسات من أجل تجديد الليبرالية. للمزيد انظر:

Burgin, Angus (2012). The Great Persuasion: Reinventing Free Markets since the Depression. Harvard University Press. P 18, 56, 58, 62.

¹ **For more:** Freeden, Michael (1978). The New Liberalism: An Ideology of Social Reform. Oxford: Oxford University Press.

² Adams, Ian (2001). Political Ideology Today (Politics Today). Manchester: Manchester University Press

بينما الليبرالية الحديثة (Neoliberalism) هي لفظٌ يستخدم راهناً للإشارة إلى (مذهبٍ رأسماليٍّ يؤدي اقتصاد عدم التدخل وعدم الاكتراث بالعدالة الاجتماعية)^٣، تهتم العديد من السياسات النيوليبرالية بالأداء الفعال لرأسمالية السوق الحرة، وتركز على الحدّ من الإنفاق الحكومي وسياسات التقشف، وخفض الإنفاق الحكومي على البرامج الاجتماعية، وتدعو لتخفيض قوة النقابات ..

تدعو الليبرالية الحديثة إلى مبدأ المنافسة في العلاقات الإنسانية، و(أنّ المنافسة هي المبدأ التنظيمي الشرعي الوحيد للنشاط البشري)^٤، وبالتالي الليبرالية الحديثة تُعيد تعريف الناس باعتبارهم **مستهلكين لا مواطنين**، تنظم حياتهم القيم الاستهلاكية الغرائزية لا الميول الإنسانية، وبالتالي تصبح الغريزة هي الدافع الرئيس للعيش وليس العقل، الأمر الذي يدفع بالحضارة الإنسانية نحو التوحش والانهيار الأخلاقي، وبالتالي الليبرالية الحديثة (Neo-liberalism) هي (أيديولوجيةٌ تضيي الشرعية على المنافسة الفردية الإنسانية، وتشكك في الهياكل الجماعية التقليدية للمجتمع؛ وباعتبارها أيديولوجيا فهي مشروعٌ سياسيٌّ ضدّ أيّ محاولةٍ لتأسيس "الجماعية" وضدّ مفاهيم الاجتماعية الديمقراطية وتوزيع الحماية الاجتماعية، وحقوق العمال، والحقوق الجماعية أو الحماية القانونية للتوظيف والوضع الاقتصادي)^٥، ويمكن أيضاً اعتبارها "شكلاً من أشكال التنافس الوجودي" وكمعيار للحياة يتميز بالمنافسة المعممة مع الآخرين، (فالمنافسة بين الأفراد، بالنسبة للداروينية الاجتماعية-الليبراليون الجدد-، هي قانونٌ طبيعي)^٦، بالنتيجة النيوليبرالية (Neo-liberalism) هي أيديولوجيا تصنيف البشر، وفق المبدأ العام للمنافسة الإنسانية، قائمةٌ على مبدأ المحايدة الأخلاقية للرأسمالية، وهو حياءٌ مدمر للمجتمعات من الناحية القيمية والنبوية.

المطلب الثاني: السياق التاريخي لليبرالية الحديثة.

نشأت الليبرالية في أوروبا في عصر التنوير وصولاً للثورة الصناعية (١٧٥٠-١٨٥٠) في صراعٍ مع النظام الإقطاعي ومع هيمنة الكنيسة، وتمكّنت بعد انتصار البرجوازية ونجاح ثوراتها من إقامة الدولة الأمة (الدولة الويستفالية*) استناداً إلى قاعدة الحريات الفردية على المستوى الفلسفي، باعتبارها جزءاً من القانون الطبيعي والحريات الاقتصادية على المستوى الاقتصادي، وقد نجحت في إقامة نظامٍ برلمانيٍّ تمثيليٍّ، ولكن بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية وما رافقهما من إحباطٍ نفسيٍّ وسياسيٍّ في النظام الليبرالي التي عبرت الحربين عن أزمته العميقة (بين الرأسمالية والليبرالية السياسية) بدأت تيارات ما بعد الحداثة تنتشر من الغرب إلى بقية دول الأرض، وهنا بدأت تيارات النيوليبرالية بالصعود في الغرب، ومعه (تمت صياغة مصطلح الليبرالية الحديثة في ندوة والتر ليبمان على هامش اجتماعٍ عقد في باريس العام ١٩٣٨)^٧، وكان من بين الحاضرين رجلان جاءا

³ Alfredo Saad-Filho and Deborah Johnston, NEOLIBERALISM a Critical Reader, London: First published 2005 by Pluto Press, p 4.

⁴ Stephen Metcalf, "Neoliberalism: the idea that swallowed the world", the guardian, 18 Aug 2017, Retrieved 7/7/2024: <https://www.theguardian.com/news/2017/aug/18/neoliberalism-the-idea-that-changed-the-world>.

⁵ Bruno Amable, "Morals and politics in the ideology of neo-liberalism", Socio-Economic Review (2011) 9, 3-30, p 7

⁶ Ibid, p 15.

* الويستفالية: مصطلحٌ ينسب لصلح ويستفاليا (١٦٤٨) الذي أسس للدولة كوحدة فاعلة دولياً، قائمةٌ على مبادئ احترام سيادة الدول، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.

⁷ Daniel Stedman Jones, Masters of the Universe: Hayek, Friedman, and the Birth of Neoliberal Politics (Princeton: Princeton University Press, 2012), p 31.

لتعريف الأيديولوجية، هما لودفيغ فون ميزس وفريدريش هايك، وكانا ينظران إلى الديمقراطية الاجتماعية، التي تجسدت في سياسات فرانكلين روزفلت باعتبارها مظاهر للجماعية التي شبهها بالنازية والشيوعية)، تاريخياً تم اقتراح مصطلح (النيو ليبرالية) من قبل الاقتصادي الألماني ألكسندر فون روستو (١٨٨٥ - ١٩٦٣)، كما كتب فرانسوا دينورد أن (تكون "نيوليبرالياً" كان من المفترض أن يعني الاعتراف بأن اقتصاد "عدم التدخل" لم يكن كافياً، وأنه في اسم الليبرالية هنالك حاجة في السياسة الاقتصادية إلى اسم الليبرالية الحديثة)^٨، وفي كتابه (الطريق إلى العبودية ١٩٤٤) زعم فريدريش هايك أن (التخطيط الحكومي، من خلال سحق الفردية، سيؤدي حتماً إلى السيطرة الشمولية)^٩، وأنه (مع التخطيط المركزي سيصبح الفرد أكثر من أي وقت مضى مجرد وسيلة، تستخدمها السلطة في خدمة السرديات النظرية مثل "الرعاية الاجتماعية" أو "خير المجتمع")^{١٠}، هذا الأمر لفت انتباه بعض الأثرياء، الذين رأوا في تلك الفلسفة فرصة للتهرب من الضرائب، (وعندما أسس هايك في العام ١٩٤٧ أول منظمة لنشر عقيدة النيوليبرالية وهي جمعية مونت بيليرين كانت مدعومة مالياً من الأوليغارشية المالية)^{١١}، وعلى الرغم من تمويلها السخي، ظلت الليبرالية الحديثة على الهامش لثلاثة عقود بعدها، فقد تم تطبيق الصفات الاقتصادية لجون كينز (نظرية الديمقراطية الاجتماعية) على نطاق واسع، في الولايات المتحدة ومعظم أوروبا الغربية وكانت الحكومات آنذاك تسعى إلى تحقيق نتائج اجتماعية لتقليل خسائر الحربين العالميتين، ولكن في السبعينيات، عندما بدأت السياسات الكينزية في التعثر وضربت الأزمات الاقتصادية كلا جانبي المحيط الأطلسي، بدأت الأفكار النيوليبرالية في دخول التيار الرئيس للسياسات الغربية، لتمثل سياسات (رونالد ريغان ومارجريت تاتشر) التطبيق السياسي والاقتصادي والقيمي للنيو ليبرالية، هذا وكانت فترة الثمانينيات من القرن الماضي ذروة التنظير الفكري لتيار الليبرالية ما بعد الحداثية مع (فوكو، دولوز، ليوتار، دريدا) (جان بودريار، سكوت لاش ولدى أنتوني جينز) في نتاجاته الذي يقترح فيها حادثة جذرية كسياق منفصل، لتمثل مسائل التشكيك والتقويض والعدمية، واللا نظام واللا انسجام وتحطيم أي مقولة مرجعية، جوهر ما بعد الحداثة.

المبحث الثاني: جدلية العلاقة بين الليبرالية الحديثة وما بعد الحداثة.

بدايةً يشير مفهوم بعد الحداثة إلى النظريات والتيارات والمدارس الفلسفية والفكرية والأدبية والنقدية والفنية التي ظهرت كرد فعل على الحداثة ذاتها ومقولاتها، جاءت -ما بعد الحداثة- لتقويض الميتافيزيقا الغربية، وتحطيم المقولات المركزية التي هيمنت قديماً وحديثاً على الفكر الغربي، كاللغة، والهوية، والأصل، والصوت، والعقل... وقد استخدمت في ذلك آليات التشكيك والتشكيك والاختلاف والتغريب، وتقرن ما بعد الحداثة بفلسفة الفوضى والعدمية والتفكيك واللا معنى واللا نظام، وتتميز نظريات ما بعد الحداثة عن الحداثة السابقة بقوة التحرر من قيود التمرکز، والانفكاك عن اللوغوس والتقليد وكل ما هو متعارف عليه.

المطلب الأول: ما بعد الحداثة (المفهوم والفلسفة).

أطروحة ما بعد الحداثة في الفلسفة بمعناها الواسع، تشتمل عدداً من المقاربات النظرية من بينها: (ما بعد البنيوية والنزعة التفكيكية والفلسفة ما بعد التحليلية والنزعة البرغماتية الجديدة، وهي مقاربات تسعى إلى تجاوز

⁸ Philip Mirowski and Dieter Plehwe, eds, The Road From Mont Pèlerin: The Making of the Neoliberal Thought Collective (Cambridge, Mass: Harvard University Press, 2009), p 48.

⁹ Von Hayek, Friedrich A. (9 July 2006). The Road to Serfdom, by F. A. Hayek – why the continual expansion of the state endangers liberty. CreateSpace Independent Publishing Platform, p 16.

¹⁰ Ibid, p 80.

¹¹ SULFA NOFAL, "The historical roots of neoliberalism: origin and meaning, Brazilian Journal of Political Economy, vol. 43, n° 3, pp. 576-591, July-september/2023, P 579.

التصورات العقلية ومفهوم الذات العاقلة باعتبارها تمثل أساس التقليد الفلسفي الحداثي الذي خط معالمه الأولى ديكارت وكانط^{١٢}، هذه الأطروحات والمقاربات ما بعد الحداثية هي رد فعل على الحداثة ذاتها، وهي وليدة التقدم التكنولوجي والتحول الحاصل في طبيعة المجتمعات الأوربية التي انتقلت إلى المرحلة ما بعد الصناعية، لتنتقل إلى مرحلة المجتمعات ذات الاقتصاد الخدمي، وأي تغير في أنماط الإنتاج سيقابله تغير في أنماط التفكير والعلاقات الاجتماعية ضمن دائرة تفاعلية متبادلة، من هنا يشير مصطلح ما بعد الحداثة (إلى أسلوب في التفكير يبدي ارتياباً بالأفكار والتصورات الكلاسيكية كفكرة الحقيقة والعقل والهوية والموضوعية والتقدم الأحادي المسار، إضافة إلى نقد السرديات الكبرى)^{١٣}، وعليه يرى الباحث أن مرحلة ما بعد الحداثة هي مرحلة نقدية للأسس التي قامت عليها الفلسفة الحداثية ذاتها، وفي مقدمتها نقد العقلانية الحداثية، والوضعية الحداثية، ونقد الهوية التوحيدية لصالح الاعتراف بالهويات وصراعاها، وإعطاء أهمية استثنائية للمعنى، والترويج للنسبية الأخلاقية، وإعادة الاعتبار للتاريخ، وإذا كانت الفلسفة الحداثية تقوم على الحتمية والوضعية، فإن الفلسفة ما بعد الحداثية تقوم على النظرة التفهيمية الحدية النسبية والتي تشكل بدورها مقومات المقاربات الهيرمنيوطيقية، هذه الفلسفة تدفع الإنسان إلى التحرر من قهر المؤسسات المالكة للخطاب والمعرفة والسلطة، وتحريره أيضاً من أوهام الإيديولوجيا والميثولوجيا، وتدفعه سلباً للتحرر الأخلاقي والقيمي كذلك الأمر.

المطلب الثاني: تفكيك الميتافيزيقيا.

الميتافيزيقيا بحسب هايدغر (هي التساؤل الذي يتجاوز الموجود الذي تسأل عنه بهدف وصفه موجوداً أو بمجمله، لكي يجعله مفهومه أمراً في الراهن)^{١٤}، وبالتالي السؤال الأساسي الذي لا مفر منه والمركزي في فلسفة هايدغر يمكن صياغته على النحو الآتي: لماذا كان هناك وجود الموجودات بدلاً من العدم؟، ويجيب هايدغر (أنّ الوجود الإنساني يتحقق بالخروج من العدم، وهذا الخروج يحدث في ماهية الدازين* وهذا يوضح أن الماهية ترتبط بطبيعة الإنسان، أي أنّ الميتافيزيقيا هي الدازين نفسه)^{١٥}، وبالتالي يحدد هايدغر وظيفة ما بعد الحداثة كما هي عند نيتشه بـ(تشخيص ضعف الوجود أو تهديم الأنطولوجيا وإيقاف التفكير بالأشياء ميتافيزيقياً)^{١٦}، وإذا كان هايدغر قد قطع شوطاً في سبيل تجاوز الميتافيزيقيا بما هي قدر ملازم للفلسفة، وساهم بقدر كبير في خلخلة بنياتها ونقل الفكر الفلسفي من التساؤل حول إمكاناتها، إلى اجترح أفق لممارسة فعل التفلسف بمنأى عن قولها، فإن جاك دريدا يعتبر محاولة هايدغر تلك لتجاوز الميتافيزيقيا محاولة ناقصة وغير مكتملة، وانطلق إلى ضرورة (القراءة الشاملة وإعادة النظر في المفاهيم التي تأسس عليها كخطاب ميتافيزيقي مثل الحقيقة والعقل والحضور والأصل وهي عبارة عن نقد للمركز الغربي

^{١٢} مقاربات في الحداثة وما بعد الحداثة-حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر، ترجمة وتقريب: محمد الشيخ وياسر الطائي، (بيروت: دار الطليعة، ط ١، ١٩٩٦)، ص ١٦.

^{١٣} تيري اليغون، ما بعد الحداثة-تحديات، ترجمة وإعداد: محمد سبيلا وعبد السلام بنعبد العالي، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط ١، ٢٠٠٧)، ص ١٠.

^{١٤} هايدغر، الفلسفة في مواجهة العلم والتقنية"، ترجمة: فاطمة الجبوشي، (دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٨٨)، ص ٢١.

* الدازين: كينونة الموجود الإنساني أو كيفية وجوده؛ أي الإنسان من حيث هو الكائن المنفتح على الكون في تغيره وعدم استقراره.

^{١٥} رواء محمود حسين، إشكالية الحداثة في الفلسفة الإسلامية المعاصرة-دراسة وصفية، (دمشق: دار الزمان للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠١٠)، ص ٣٣٨.

^{١٦} المرجع السابق، ص ٣٣٧.

وتمركز العقل وبالتالي تفكير هذه التمرکزات هو تفكير للمبدأ الانطو-ثيولوجي للميتافيزيقيا^{١٧}، وترتبط الميتافيزيقا بالذاكرة الجماعية للشعوب من خلال الأديان والأنظمة العقائدية، والأساطير المقدسة، وهي تفرض نفسها على معتققيها من خلال نسقٍ كاملٍ من المعتقدات يتم توارثه عبر الأجيال إما عن طريق التثاقف أو من خلال الذاكرة الجماعية، ويعدّ اللاهوت أحد أقسام الفلسفة الميتافيزيقية ويحتوي كذلك على العديد من الموضوعات المتضمنة لطبيعة الدين، وتصورات نشأة الكون، ووجود المقدس، والأسئلة الخاصة بالخلق، والروحانيات، وكلّ ما يخص الكيان الإنساني بوجه عام، لذلك تفكير الميتافيزيقا كمنهج عام لما بعد الحداثة سيرخي بظلاله على تفسير النص الديني والإيمان بالغيبات والتسليم بها، ويدخل المجتمعات بأزماتٍ متجددة.

المطلب الثاني: الليبرالية الحديثة منتجٌ لما بعد الحداثة.

ترزع ما بعد الحداثة مكانة اللغة والهوية والأصل، فهي فلسفاتٌ عدميةٌ وفوضويةٌ، تزيّف المعنى، وتقوّض العقل، وتتشّر الإحباط والفوضى في المجتمع، وتعتمد على هيمنة الصورة التي أصبحت المحرك الأساس للمعرفة، وصنع الحقيقة، كما يتميز الفكر ما بعد الحداثي بالميل إلى بناء الوعي ذاتياً وليس مجتمعياً، والنسبية المعرفية والأخلاقية، وعدم الاحترام، كما تقوم العدمية في فكر ما بعد الحداثة على إزالة التمايزات بين المتناقضات، بين "الصح والخطأ"، وبين "المطلق والنسبي"، وبين "المقدس واللا مقدس"، ليتعامل المجتمع معها كظاهرةٍ طبيعيةٍ خلال حياته اليومية، لتأتي لحظة القطع المعرفي في سياق ما بعد الحداثة مع إعلان موت (الكاتب في النص) و(السلطة المطلقة المعيارية في الحياة)، لتبدأ مرحلة تفكير البنية الحداثية وأدقّ أجزائها وعلاقاتها البنوية، وهنا يصبح كلّ إنسانٍ هو معيار ذاته في الفلسفة (النيوليبرالية ما بعد الحداثية) وهو ما يطلقون عليه (الليبراليون الحديثون) "حرية الضمير" وهنا تسقط قيمة العقل نهائياً ويصبح الفعل أخلاقياً حسب الرغبة الفردية طالما لا يؤدي هذا الفعل لخطرٍ أمّنيٍّ ماديٍّ على الآخرين فهو مسموح، ومعه يصبح الشذوذ أبعد من مسألة ممارسةٍ جنسيةٍ غير طبيعيةٍ وغير إنسانية، بل هو مميزٌ لسمات ما بعد الحداثة ومنتجها النيوليبرالي قيمياً وأخلاقياً، فالمطلوب معها تدمير الأسرة (كقيمةٍ ومؤسسة)، والأخلاق والدين (كمعايير وضوابط)، والعادات وكلّ الأنساق المعيارية في المجتمع، لتصبح المجتمعات مستعدةً لعالم ما بعد الإنسانية قيمياً وأخلاقياً، مع الموجة الرابعة للعولمة.

وبناءً على ما تقدم إذا كانت الليبرالية منتجاً حداثياً، فالنيوليبرالية (الليبرالية الحديثة) هي منتجٌ ما بعد حداثي، ما يقودنا إلى الاستنتاج أنّ أخلاق ما بعد الحداثة هي أخلاق النيوليبرالية والنظام القيمي ما بعد الحداثي هو نظام القيم النيوليبرالية.

رأهنا تروج التيارات العولمية ما بعد الحداثة (الليبرالية الحديثة) إلى مسألة موت الفلسفة، فإذا كانت مسألة نهاية السلطة المعيارية المطلقة قد قادت إلى محاولة تسويق الشذوذ، فمرحلة موت الفلسفة، وما تعنيه من موت المنطق، ونهاية العقل التأملي، سنقود إلى العصر الشكوكي الظنيّ وفق أجندات النيوليبراليين-، الذي سيستهدف فكرة الأديان، ومن هنا نصل إلى هدف الليبرالية الحديثة وهو هدم فكرة الأديان، ليبدأ "عالمهم الجديد" بالظهور والمبني على أنقاض القيم الإنسانية، لذلك لابدّ من المواجهة فكرياً وسياسياً واقتصادياً وتوحيد الجبهات الثقافية العالمية للمواجهة، فليست الثقافة العربية وحدها هي المستهدفة بل كلّ الثقافات التي تناهض الغرب الليبرالي المتوحش بقيمه.

^{١٧} جاك ريدا، استراتيجية تفكير الميتافيزيقيا، ترجمة: عز الدين الخطابي، (الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، ط ١، ٢٠١٣)، (مقدمة المؤلف) ص ٦.

المطلب الثالث: الدولة والنظام الأخلاقي في فلسفة الليبرالية الحديثة - ما بعد الحداثة.

تمنح الافتراضات النيولبرالية الفرد امتيازاً قبل المجتمع، تهمل من خلاله البيئة الأوسع التي تشكل الشرط والنتيجة لكيفية العيش الجماعي في المجمع، الأمر الذي يدمر تلك البيئة.

يُميز جيمس بوكنان (١٩١٩-٢٠١٣) بين ثلاث مفاهيم متقاربة هي: المجتمع الأخلاقي والنظام الأخلاقي والفوضى الأخلاقية، ينشأ المجتمع الأخلاقي مع الموقف الذي يتماثل فيه أفراد المجموعة مع وحدة جماعية بدلاً من اعتبار أنفسهم أفراداً مستقلين، بينما يوجد النظام الأخلاقي عندما يعامل الناس بعضهم بعضاً على أنهم متبادلون أخلاقياً، أما الفوضى الأخلاقية فتوجد عندما لا يعتبر الأفراد أنفسهم ينتمون إلى مجتمعهم الأخلاقي أو لا يقبلون الحد الأدنى من متطلبات النظام الأخلاقي^{١٨}.

إن دور الحكومة يتناسب عكساً مع قوة النظام الأخلاقي، فإذا تصرف الجميع وفقاً لقواعد النظام الأخلاقي، فمن الممكن أن يقتصر دور الحكومة على المثل الليبرالي الكلاسيكي المتمثل في الحارس الليلي، أما إذا عمت الفوضى الأخلاقية فيفترض دورٌ قويٌّ وحاسمٌ للدولة.

تفضل الدولة النيولبرالية (حقوق الملكية الخاصة القوية للأفراد، وسيادة القانون، ومؤسسات الأسواق العاملة بحرية والتجارة الحرة، وهذه الترتيبات المؤسسية تعتبرها ضرورية لضمان الحريات الفردية، وبالتالي يتعين على الدولة أن تستخدم احتكارها لوسائل العنف للحفاظ على هذه الحريات بأي ثمن)^{١٩}، وعليه تؤدي السياسات النيولبرالية إلى نقل كبير للموارد والسلطة بعيداً عن المؤسسات العامة نحو المؤسسات الخاصة، مما يؤدي إلى تقليص وسائل وقدرة المواطنين على تحديد المصلحة العامة وحمايتها وتعزيزها، ويؤدي بالنتيجة النهائية إلى إبعاد الدولة عن كل دور في الحياة الوطنية باستثناء الحد الأدنى منه.

بناءً على ما تقدم، تكمن المشكلة في الليبرالية الحديثة برأي الباحث بأنها تريد دوراً أقل للدولة في نظام أخلاقي فوضوي فردي وليس جماعي تعاقدي اتفاق، فالعقد القائم على المعاملة بالمثل بين الفرد والمجتمع، حين يحل محل الحقوق الجماعية المبنية على العقد الاجتماعي سيقود حكماً إلى تفتيت البنى الأخلاقية والقيمية للمجتمع، ويلغي دور التراث في بناء العرف الاجتماعي.

المبحث الثالث: جدلية العلاقة بين الليبرالية الحديثة وما بعد الإنسان.

أدى التقدم العلمي في علوم الوراثة والأعصاب والدكاء الاصطناعي والنانو تكنولوجي، إلى نهاية النظرة التقليدية للإنسان، ككائن بيولوجي (مكتمل ونهائي)، وأكثر الحركات الفكرية التي تتعامل مع هذه المتغيرات، هما حركتي أو اتجاهي ما بعد الإنسان (Post human)، وما بعد الإنسانية (Post humanism).

المطلب الأول: التأصيل النظري لمفهوم ما بعد الإنسان.

رغم التشابه الظاهري بين مفهومي ما بعد الإنسان وما بعد الإنسانية إلا أنهما مختلفين بدرجة كبيرة، ففي حين (أن ما بعد الإنسانية، كمفهوم يُعيد النظر في معنى أن تكون إنساناً قيمياً وأخلاقياً، فإن ما بعد الإنسان كحركة سياسية فكرية، تشير إلى نظرية "التعزيز البشري" ("Human 2.0") بمعنى: (تعزيز حالتنا البيولوجية

¹⁸ Buchanan, J. (1986) Liberty, Market and State. Political Economy in the 1980s, Brighton, Wheatsheaf Books, p 111.

¹⁹ Harvey, David, 'The Neoliberal State', A Brief History of Neoliberalism Oxford, 2005; online edn, Oxford Academic, 12 Nov. 2020), <https://doi.org/10.1093/oso/9780199283262.003.0007>, accessed 10 July 2024.

والمعرفية بأنظمة ذكية توسع حدود قدراتنا الإدراكية والمعرفية، وتتيح لنا أداء أعلى من الأداء الطبيعي للإنسان^{٢٠}.
طبعاً يعالج كلا المفهومين حالة (ما بعد الإنسان) في العصر التكنولوجي، لذلك إن حركة ما بعد الإنسان، هي من قادت إلى ظهور فلسفة ما بعد الإنسانية في أحد وجوه هذه الفلسفة، لأنه لا يمكن فقط اختصارها بما بعد الإنسان المعزز، فأحد الاتجاهات الأكثر أهمية لفلسفة ما بعد الإنسانية كونها ثورة على مفهوم الإنسانية ذاته...، لأن مفهوم "الإنسانية" لم ينشأ متوازناً بل كان منحازاً لمركزية العقل الأوربي - حين نشوئه في عصر النهضة - (الذي بُني على مقولة عندما نقول "إنسان"، فإننا لا نعني حقاً جميع البشر)، لذلك إن ما بعد الإنسانية هي محاولة لإعادة الإنسانية إلى جميع البشر، أو على الأقل تجريبها من حصريّة الاحتكار الغربي، ويمثلها اتجاه ما بعد الإنسانية النقدية، وفي جانب آخر لا يقل أهمية عن الأول وربما هو السائد في اتجاهات ما بعد الإنسانية، فإن ما بعد الإنسانية تشمل فلسفة ما بعد الإنسان المعزز أيضاً.

طبعاً السؤال المركزي في فهم اتجاهات ما بعد الإنسان، يتمحور حول (الإنسان الأخير) بمعنى: هل الإنسان الراهن بهيئته ومداركه وطبيعته البيولوجية، هو نهاية التطور البشري؟ أم أن هنالك أفق جديد لهذا التطور؟، والجواب طبعاً تقدمه اتجاهات ما بعد الإنسان، من خلال طرح فكرة إنسان (سايبيرنيكوس)، إذ تتنبأ اتجاهات ما بعد الإنسانية بعالم تصبح فيه التقنيات الرقمية والسيرانية والجينية والطبية الحيوية أدوات المرحلة التالية من التطور البشري، حيث سيتحول الإنسان العاقل (هومو سابينس) (Homo Sapiens) الإنسان الحالي، إلى إنسان (سايبيرنيكوس أو تكنو سابينس)، إنسان خارق، يعيد بناء فهم معنى الوجود البشري.

وتأكيداً على واقعية وموضوعية هذه الطروحات وأنها ليست مستقبلية وتأمليّة بعيدة عن الواقع الراهن، تبلغ القيمة السوقية لأبحاث وإجراءات التعزيز البشري حوالي (٣٣٠) مليار دولار أمريكي في العام ٢٠٢٣ ومن المتوقع أن تصل إلى حوالي ترليون دولار أمريكي بحلول العام ٢٠٣٣، ومن المتوقع أن ينمو بمعدل سنوي مركب قدره ١٤.٢٥٪ خلال الفترة من ٢٠٢٣ إلى ٢٠٣٤)^{٢١}، كما تشهد الأوساط العلمية والاقتصادية حراكاً ملحوظاً بهذا الاتجاه، كالمؤتمر الذي عقد بمدينة ميونخ الألمانية حول التعزيز الإنساني (A Human s 2022) والذي ناقش الزيادة الجسدية والمعرفية والإدراكية للبشر من خلال التقنيات الرقمية، والتحرك نحو التقنيات التي تعزز القدرات البشرية بما يتجاوز الفرد وستكون لها القدرة على التأثير على النطاق المجتمعي، ومؤتمر الذكاء الاصطناعي البشري الهجين 2023 (HHAI) الذي انعقد أيضاً في مدينة ميونخ بألمانيا، إضافة إلى مؤتمر ملبورن فيكتوريا في أستراليا والمنعقد في نيسان ٢٠٢٤ (AHS 2024).

المطلب الثاني: ما بعد الإنسان اتجاه ما بعد حدثي (ما بعد الإنسانية النيوليبرالية).

فلسفة ما بعد الإنسانية هي فلسفة ما بعد حدثية، استقت نظريتها من نسبية الحقيقة والأخلاق والعقل، فمحاولات عتق الكائن الإنساني من إكراهات الوجود البشري (حدوده)، والتي هي مجموعة من الأفكار والمعارف والمشاعر والخبرات والأنشطة، التي يمكن للكائنات البشرية الوصول إليها والتي لا تشكل سوى جزء صغير ما هو ممكن، هي الجذر المشترك بين اتجاهات ما بعد الإنسانية، وهو اتجاه تقويضي تفكيكي بحد ذاته، ولكن على الرغم من منطقية

²⁰ Roope Raisamo, Ismo Rakkolainen, Päivi Majaranta, "Human augmentation: Past, present and future, Tampere Unit for Computer-Human Interaction TAUCHI, Faculty of Information Technology and Communication Sciences, Tampere University, International journal of human computer studies, 2019, Vol. 131, 134.

²¹ Human Augmentation Market, Ottawa: Precedence Research, Published: March 2024, Report Code: 3645, Retrieval 8/7/2024, <https://www.precedenceresearch.com/human-augmentation-market>.

هذا الكلام فلا يجوز عدّها فلسفةً عدميةً بقدر كونها ما بعد وجوديةً لم تُحدد بعد، لأن طبيعتنا البشرية الحالية وتكويننا العقلي المعرفي لا تسمح بهذا الأفق ضمن معارفنا الراهنة.

إنّ اللامركزية البشرية التي أثارها تيارات ما بعد الإنسانية، والتسليع الإنساني التي أثارها النيوليبرالية، لم يغيرا فقط طبيعة الإنسان، بل معنى أن تكون إنساناً قيمياً وأخلاقياً، وبناءً عليه يمكن طرح السؤال الأخلاقيّ الأهم في عالم ما بعد الإنسانية، من أين يستمد "الإنسان المعزز" أخلاقياته...؟ وما مصير الأخلاق ذاتها؟!، فالإنسان المعزز والمنعقد من هواجس المرض والشيخوخة وربما يحلم بتجاوز "مخاوف الموت"، سيفسح المجال لتطرف العقلانية الأداة المادية، وإطلاق العنان لنزواته وهواجسه، ومع تطرف العلمانية المادية بحكم هذا المنطق، ستعيد مرحلة "الإنسان المعزز" الاستقطاب في العلاقة بين الدين والأسطورة، الدين والمادية، ويخلق كنتيجة لذلك، تيارات دينيةً متشددةً على اختلاف الأديان، وعلمانيةً إلحاديةً متشددةً على اختلاف الاتجاهات، ومع دخول المجتمعات الإنسانية مرحلة ما بعد الإنسان فعلياً، وما سيتلوّه حكماً من دخول تلك المجتمعات مرحلة ما بعد الإنسانية، لابد من تكثيف النقاشات حول مخاطر الليبرالية الحديثة على المجتمعات البشرية، فتلك الليبرالية الحديثة هي بوابة تلك المرحلة المجهولة (ما بعد الإنسانية) من الناحية القيمية والأخلاقية والعاطفية، فتدمير البنى القيمية ليس مجرد فلسفة (فوضوية عدمية)، بل بدايةً لمرحلة ما بعد القيم الإنسانية، وما تحمله هذه الفكرة من مخاطر على الأمن الإنساني، و(مع استعمار الشركات (التكنو حيوية) لعلاقتنا الاجتماعية ودوافعنا الأساسية واحتياجاتنا ورغباتنا مثل الجوع والجنس والمأوى، وهويتنا كبشر، فإن إبداعنا ومعرفتنا وتعلمنا لن تغدو معالم إنسانيةً تحرريةً، بل موارد لإنتاج رغباتٍ -سلعية- زائفة في الصحة والحب والإنسانية، وبالتالي يصبح المجتمع ككل مختبراً للرأسمالية التكنولوجية)²²، في عالم ما بعد الإنسانية النيوليبرالي ستدور الأجساد والرغبة في حلقات سيبرانية من المعلومات، تتطلق فيها الغرائز الشهوانية، بلا قيود، مشفرةً بلا ضوابط، فيصبح المجتمع البشري معها أكثر غرائزية، وأقل أخلاقية، وأكثر انعتاقاً من فكرة الحرام والخطأ، ومعها سيعيد الجسد في تلك المرحلة، تشكيل العلاقة بين السلوك والقيم الأخلاقية متجاوزاً الوعي العقلي الخارجي والداخلي الذي كان يعمل على بناء توازن مع الواقع من خلال الإدراك الحسي المجتمعي، فتصبح البنى الأخلاقية مجرد آراء شخصية تعيش عالماً اجتماعياً آخر وتنتمي لزمانٍ آخر، إنّ ما تسعى إليه القوى الليبرالية الحديثة وما تستثمر فيه مالياً هو (القوة المعلوماتية للمادة الحية ذاتها، إنّ رأسمالية المادة الحية تنتج اقتصاداً سياسياً جديداً، أطلقت عليه ميليندا كوبر (٢٠٠٨) اسم "الحياة كفايض")²³، وعليه هنالك حياةً بشريةً أهم من أخرى، وحياةً بشريةً أخرى عديمة الفائدة لا تعدّ سلعة قابلة للتسويق، يجب التخلص منها أو إعادة تدويرها، فيصبح الوجود البشري بلا معنى، عديمي، سلعي، خاضعٌ لثنائية الشركات والتسويق. وعليه، إذا كانت مقولة "نهاية التاريخ" لفرنسيس فوكوياما تمثل ذروة المد النيوليبرالي العالمي حينها، فموت العقل والفلسفة هي رأس الهرم الليبرالي الحديث الذي ستعقبه بنيةً إنسانيةً مختلفةً عما عاشه ويعيشه البشر الراهنون، يمكن الاصطلاح عليها (ما بعد الإنسانية النيوليبرالية)، التي تبني الإنسان على صورة سوق رأسمالية مفرطة تفضل البياض والذكورة والمثلية الجنسية والهويات الجنسية المتغيرة.

²² Suarez-Villa, Luis. *Techno capitalism: A Critical Perspective on Technological Innovation and Corporatism*. Temple University Press, 2009. JSTOR, <http://www.jstor.org/stable/j.ctt14btdwx>. Accessed 11 July 2024.

²³ **For more:** COOPER, MELINDA. "LIFE BEYOND THE LIMITS: Inventing the Bio economy." *Life as Surplus: Biotechnology and Capitalism in the Neoliberal Era*, University of Washington Press, 2008, pp. 15–50.

المبحث الثالث: أدوات الليبرالية الحديثة.

الليبرالية الحديثة ليست مجرد تطورٍ زمنيٍّ عن الليبرالية، بل هي أيديولوجيا شاملة، وكباقي الأيديولوجيات السياسية فإنها بحاجة لأدوات سيطرةٍ وتحكمٍ بالمجتمعات، ولكن ما يميز الليبرالية الحديثة هي أدواتها الذكية، اللاشعورية، التي تعتمد على توجيه اللاوعي الإنساني، بعكس الليبرالية ذاتها التي تخاطب الوعي، وتمجد العقل. المطلب الأول: الهرمينوطيقا (التأويل النصي في العقل الظنوني).

الهرمينوطيقا هي وصف للجهود الفلسفية التي تهتم بمشكلات الفهم والتأويل وتقوم على فلسفة التعمق خلف ما هو ظاهرٌ من تعبيراتٍ وعلاقاتٍ ورموزٍ للكشف عن الجوانب المتعينة من الخبرة أو التجربة، في محاولة فهم التجربة التاريخية المحيطة بالنص.

أولاً: مفهوم الهرمينوطيقا.

جوهر الهرمينوطيقا هو الكشف عن ما يكمن خلف الأشياء الظاهرة من دلالاتٍ ومعانٍ^{٢٤}، ويقدم الدكتور نصر حامد أبو زيد تعريفاً أوضح للهرمينوطيقا باعتبارها (مجموعةً من القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني، وبالتالي هي تختلف عن التفسير، الذي يشير إليه المصطلح)^{٢٥}، تنطلق الهرمينوطيقا هي إعادة معايشة للعمليات الذهنية لمؤلف النص، وبالتالي التأويل يتكون من لحظتين متفاعلتين: اللحظة اللغوية واللحظة السيكولوجية، وعملية التفاعل بينهما هي من تنتج الدائرة التأويلية حسب شلاير ماخر^{٢٦}، بعبارة أوضح الهرمينوطيقا هي نظرية التفسير، وليست عملية التفسير نفسها، وتطور هذا المفهوم باستمرار بدءاً من الاستخدام اليوناني القديم له، أي منذ أفلاطون، مروراً بتجذره مع جهود الفلاسفة أمثال دلتاي وهوسرل وهايدغر، ووصولاً إلى غادامير وهابرماس وبول ريكور، ولكن عند دخول المصطلح وتطبيقاته إلى المجتمعات العربية ينشأ ضده رد فعلٍ رافضٍ، نظراً لكون المجتمعات العربية تنتمي إلى مجتمعات النص المقدس، وبالتالي إقحام المناهج التأويلية التي تتعامل مع النصوص الدينية كالقرآن على أنه نصٌ بشري، وتستبعد الوحي كمصدرٍ للمعرفة ستأتي بنتائج عكسية مدمرةً انفعالية، إعادة قراءة الخطاب والنص أياً يكن وإعادة تشكيله وفق سياقاتٍ اجتماعية وثقافية مختلفة، يجعله مفتوحاً على سلسلةٍ لا محدودةٍ من القراءات وهو ما يقحم النص والتأويل بفوضىٍ وعدمية، فالهدف من التأويل هو تجديد الخطاب الديني بما يكافح التطرف والانغلاق الذهني، ولكن زعزعة الأفكار التي تعتبر مقدسة، وإعادة النظر في كل ما هو منزه كما شكّله العقل اللاهوتي العربي، سيزيد من مستوى التطرف والتعصب والفوضى في المجتمعات العربية.

ثانياً: العقل الظنوني (skepticism mind).

ما يحصل راهناً أن الهرمينوطيقا لم تدخل البوابة الثقافية العربية من بوابة (الأبستمولوجيا) بهدف محاولة تعميق الوجود الإنساني، وإدراك معنى الوجود، ومحاولة الكشف عن الظروف التاريخية المكبلة له،^{٢٧} بل تسللت إلى الثقافة العربية من بوابة (العقل الشكوكي الظنوني skepticism mind) الذي تروج له الليبرالية الحديثة عبر المجتمعات الافتراضية مستعينة بالتحيزات المعرفية التي يخلقها التعامل مع البيئة الرقمية، يرتبط (العقل الشكوكي) بإنكار المعرفة، والمطالبة بتعليق معتقدات المرء بشأن القضية المشكوك فيها، وهذا يعني أنه لا ينبغي للمرء أن يؤمن بها أو يكفر بها،

^{٢٤} أحمد زايد، "الهرمينوطيقا وإشكاليات التأويل والفهم في العلوم الاجتماعية"، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، (قطر: جامعة قطر، العدد ١٤، ١٩٩١)، ص ٢٢٩.

^{٢٥} نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط ٢، ١٩٩٢)، ص ١٣.

^{٢٦} عادل مصطفى، فهم الفهم - مدخل إلى الهرمينوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادام، (القاهرة: دار رؤية، ط ١، ٢٠٠٧)، ص ٩٩.

^{٢٧} أحمد زايد، "الهرمينوطيقا وإشكاليات التأويل والفهم في العلوم الاجتماعية"، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، (قطر: جامعة قطر، العدد ١٤، ١٩٩١)، ص ٣٣٧.

بل يجب أن يظلّ منفتح الذهن دون الالتزام بها بطريقة (أو بأخرى)²⁸، ولفهم أعمق للعقل الشكوكي الظنوني يجب فهم ما يحصل في الثقافة (الغربية) خصوصاً -كونها لغة الأصل للمصطلح دلاليًا ومفاهيميًا- سيما في محاولة الغرب تسويق المثلية الجنسية، إذ تضع اللاهوتات التصحيحية التي تستند إلى العقل الشكوكي المشاعر والرغبات البشرية فوق الحقيقة الكتابية (النصوص)، بهدف دفع الناس لتصديق للأكاذيب، ففي الغرب عموماً ومنذ قرابة ثلاثة قرون انطلقت حملة دعائية تستهدف المؤمنين المتدينين وفقاً للتعاليم الكتابية، بهدف زرع بذور الشك حول أوامر الله (عز وجل) فيما يتعلق بالسلوك المثلي (الشاذ)، إنّ التأثير المقصود من اللاهوت المثلي التعديلي على وجه التحديد هو فصل الكنيسة عن المناقشة الثقافية الأوسع نطاقاً حول المثلية الجنسية من خلال إعادة تعريفها (من قبل النيوليبرالية) باعتبارها أمراً من الله ومسموحاً به أخلاقياً، وتقديم الحجج والتأويلات للكتب المقدسة حول ذلك، بالتالي يهدد اللاهوت التعديلي بتغيير مبادئ الكنيسة والعقيدة الكتابية بشكل كبير..

اليوم يعيش العالم مرحلة (ما بعد الحقيقة) التي تنتجها الصورة بعيداً عن الواقع الموضوعي، ومع انتشار تيارات ما بعد الحداثة بدأت تتسرب العقلية الظنونية إلى ثقافتنا العربية، والتي تستهدف نفس أي معنى أو انتماء أو فهم أو مقدس، والعقل الشكوكي هو أداة الليبرالية الحديثة في اختراق العقل الثقافي، والهدف أن تسود العدمية كتيارٍ مهيمٍ على الثقافات، فالعدمية هي الاعتقاد بأن كل القيم لا أساس لها من الصحة ولا يمكن معرفة أي شيء أو التواصل به، وكثيراً ما ترتبط بالتشاؤم الشديد والشكوكية المتطرفة التي تدين الوجود، (يعتقد العدميون أنه على الرغم من أن بعض الأحكام الأخلاقية تتضمن بالفعل ادعاءات حول حقائق أخلاقية، إلا أنه لا وجود لهذه الحقائق، وبالتالي فإن كل هذه الادعاءات كاذبة)²⁹، والعدمي الحقيقي شخص لا يؤمن بأي شيء، ولا ولاءات له، ولا غرض له سوى الدافع إلى التدمير الذاتي والمجتمعي.

ثالثاً: صفات وسمات الشخصية الظنونية (PPD).

عادةً ما يتسم أولئك الذين يعانون من اضطراب الشخصية الظنونية (Paranoid Personality Disorder) بعلاقاتٍ شخصيةٍ ضعيفةٍ وقصيرة الأمد، وذلك لتعبيرهم عن شكوكهم تجاه الآخرين صراحةً إما بالجدال أو بالشكوى المباشرة أو الانسحاب من العلاقة، كما أنهم يتصرفون بنوعٍ من الحرص الشديد والسرية التامة، وقد تكون ردود أفعالهم في بعض الأحيان عنيفةً تجاه الآخرين لحماية أنفسهم مما يظنونونه حقيقةً وهي محضٌ أوهام³⁰.

وبمطابقة سمات الشخصية الظنونية مع ظروف وبيئة العمل الرقمية في المجتمعات الافتراضية يتضح أن المجتمعات الرقمية تساهم من جهةٍ وتعزز من جهةٍ أخرى الشخصية الظنونية.

المطلب الثاني: المجتمعات الافتراضية.

يعيش المجتمع العربي المعاصر كارثة معرفية غير مسبوقه، واغتراب ثقافي مزدوج عميق، فالعرب عموماً لا يساهمون في إثراء المعرفة العالمية إلا بقدرٍ قليلٍ لا يحدث فرقاً في المسار الإنساني، وتعاني أجياله المعاصرة من اغترابٍ عن ثقافتها وتراثها من جهة، واغترابٍ عن شخصيتها العربية من جهةٍ ثانية، فالمجتمعات العربية عموماً باتت مختزقة ثقافياً سيما مع موجة العولمة الثالثة، وتتنازع بناها الثقافية عدّة هوياتٍ فرعيةٍ ما دون وطنية،

²⁸ **For more:** DE Rose, Keith; Warfield, Ted A. (1999). "1. Introduction: Responding to Skepticism". Skepticism: A Contemporary Reader. Oxford University Press.

²⁹ Kagan, Shelly, 'Nihilism', Answering Moral Skepticism (New York, 2023; online edn, Oxford Academic, 23 Nov. 2023), <https://doi.org/10.1093/oso/9780197688977.003.0004>, accessed 9 July 2024.

³⁰ MacManus, Deirdre; Fahy, Tom (August 2008). "Personality disorders". Medicine. 36 (8): 436–441.

والظاهرة الثقافية لم تغد رهاناً سياسياً، والعرب عموماً لم ينجحوا في تحديث بناهم الدولية التقليدية لمواجهة التحدي الراهن أو لمواكبة المستقبل والاستعداد له، فهم من أكثر الشعوب استهلاكاً للحضارة ومن أقلهم مساهمةً في ابتكاراتها، هذه الحالة المأزومة والمستمرة منذ عقود أفرزت إحباطاً عاماً في المجتمعات العربية عمق من أزمتها المجتمع سيما الاقتصادية منها، وجعلت نفراً من هذه المجتمعات عرضةً لاستقطاب مغريات الليبرالية الحديثة وأدواتها، وانعكست صراعاً (متجدداً) في بنية الثقافة العربية بين قيمها الأخلاقية ومصادرها، هذه النقاشات والتي لم تحسم يوماً ضمن ثنائية التيارات الدينية والحداثية، عادت لتدخل نفقاً مظلماً في عصر "المجتمعات الافتراضية"، التي أخرجت السلوك البشري باعتباره المجسد الرئيس للقيم والأخلاق من بُعد البشري الإنساني إلى بُعد الرقمي وما يخفيه هذا العالم من متهافت تضع الظاهرة الإنسانية بأبعادها الاجتماعية والأخلاقية على محك المواجهة والتفتت والتغيير.

في العالم الذي نعيش فيه رهناً، أصبحت التكنولوجيا جزءاً لا يتجزأ من حياتنا اليومية، تعيد تشكيل الطريقة التي نتواصل بها ونتفاعل مع الآخرين، وكذا الأمر تعيد تشكيل قيمنا ومحددات سلوكنا، فمنذ الأيام الأولى للرسائل المكتوبة إلى العصر الرقمي للرسائل الفورية ووسائل التواصل الاجتماعي، كان تطور الاتصالات مهماً وتحولياً في تغير بنية التواصل الاجتماعي، وصل حدّ الحديث عن "المجتمعات الافتراضية"، فالمجتمعات موجودة في كل مكان حولنا كلاً أو جزءاً، بدءاً من العائلة أو الأصدقاء أو مجموعة من الأشخاص الذين يشاركوننا اهتماماتنا، وبنفس المعنى: في عصر رقمي متنامي، تأخذ المجتمعات "عبر الإنترنت" مبادئ مماثلة من المجتمعات الطبيعية وتجعلها افتراضية، ولكن هل وصلت "المجتمعات الافتراضية" إلى بنية مماثلة للمجتمعات الإنسانية؟، وما مدى تأثير تلك المجتمعات الافتراضية على العلاقات الإنسانية في المجتمعات البشرية الطبيعية؟، هي أسئلة مازالت في طور الاستكشاف والبحث عن إجابات، هذه الإجابات تبدأ بمطابقة خصائص الظاهرة الاجتماعية وتلك المشابهة لها رقمياً، فالمجتمع هو مجموعة من الأفراد المشاركين في تفاعل اجتماعي مستمر أو مجموعة اجتماعية كبيرة تنقسم نفس المنطقة المكانية أو الاجتماعية، وعادةً ما تخضع لنفس السلطة السياسية والسمات الثقافية السائدة، تتميز هذه المجتمعات بأنماط من (العلاقات الاجتماعية) بين الأفراد الذين يشتركون في ثقافة مشتركة، ويمكن وصف مجتمع معين بأنه مجموع هذه العلاقات بين أعضائه المكونين، وتتميز المجتمعات بقيمتها ومعتقداتها وثقافتها المشتركة عن المجتمعات الأخرى التي تتشارك معتقدات وثقافة مختلفة، وتتقاطع جميع تعريفات المجتمع بأن (علاقات المجتمع الاجتماعية يجب أن تكون قادرة على تلبية الحاجات أو المتطلبات النفسية والجسدية لمجموع الأفراد ضمن إطار القانون العام)^{٣١}، بينما المجتمعات الافتراضية هي مجموعة من الأشخاص لديهم اهتمامات أو أهداف مشتركة يستخدمون الإنترنت للتواصل الاجتماعي، عادةً ما يكون للمجتمعات الافتراضية مجموعة من الإرشادات وطرق التواصل الخاصة بهم، بعبارة أخرى هي مجتمعات التواصل الذي يعتمد على التقنيات الرقمية مثل الهواتف المحمولة والإنترنت والبريد الإلكتروني، ولأن "المجتمعات الافتراضية" أصبحت اتجاهًا رئيسيًا في سلوكنا وهو اتجاه من المتوقع أن يستمر خلال العقد القادم مع بدء تزايد قوة منصات الوسائط الاجتماعية، لابد من حسم مدى التقارب بين الظاهرة الاجتماعية الإنسانية وبين الظاهرة الاجتماعية الرقمية... وبمقارنة مفهوم المجتمعين نجد أن مفهوم المجتمع بأبعاده السييسولوجية لا يتطابق مع ذلك المتشكل بالفضاء الرقمي، فحجم الاختلاف الثقافي والقيمي وأنماط التفاعل بين مكوناته من جهة، وغياب إرادة جمعية وإعنية لتنظيم المجتمع من جهة ثانية تجعلهما سياقين مختلفين، ناهيك عن صفة الديمومة التي لا تتوفر في الحالة الرقمية... ورغم عدم التطابق لا يجوز إغفال (التشكل المشوه) للمجتمع الافتراضي، الذي يؤثر على المجتمع الإنساني بصورة مباشرة، سيما من الناحية

^{٣١} حسن عبد الرازق منصور، المجتمع العربي بين التاريخ والواقع، (دبي: المنهل، ط ١، ٢٠١٣)، ص ٣٥.

القيمية والأخلاقية والسلوكية، فالقيم الأخلاقية هي البنية التحتية للسلوك ومحركها باعتبارها مجموعة من الأحكام الانفعالية النابعة من العقل، والتي تقود الشخص نحو رغباته واتجاهاته، وتكتسب هذه القيم من المجتمع المحيط فيتعلمها الشخص وتُصبح هي المُحرِّك لسلوكياته العامة والخاصة، فأَيُّ اختلالٍ في هذه المفاهيم الأخلاقية ستعكس على المجتمع على شكل سلوكياتٍ منحرفةٍ عن القيم التي اتفقت عليها المجتمعات، دون إغفال أن المعتقدات والقضايا الاجتماعية تصبح أخلاقيةً عندما يتم تأطيرها في إطار المصالح أو الصالح العام لشيءٍ يتجاوز الفرد، مثل المجموعات الاجتماعية أو الشبكات أو المجتمع بأكمله، وتتأثر المعتقدات الأخلاقية أيضاً بشكلٍ كبيرٍ بالهويات الاجتماعية - مثل الهويات الدينية أو السياسية -، وتحتل الهوية والأخلاق مكانةً بارزةً بشكلٍ خاصٍ على وسائل التواصل الاجتماعي، لأنَّ الناس يستطيعون بسهولة الإشارة إلى هوياتهم أو معتقداتهم على شبكاتهم الاجتماعية، وعليه تؤثر المجتمعات الافتراضية بالبنية الأخلاقية والقيمية للأفراد بشكلٍ أسرع مما يحدث في المجتمعات الطبيعية، فالمجتمعات الافتراضية تعمل على إعادة إنتاج، والمبالغة في السلوك الاجتماعي والديناميكيات التي تنبثق من هوياتنا وأخلاقنا واستقطابنا السياسي، ولأنَّ السلوك البشري متأثرٌ بالحالة النفسية وربما انعكاسٌ لها لا يمكن تجاهل الآثار النفسية للمجتمعات الرقمية على السلوك البشري فالعيش في عالمٍ شديد الترابط له آثارٌ نفسيةٌ لا يمكن إنكارها، في حين أتاحَت وسائل التواصل الاجتماعي والتواصل الفوري البقاء على اتصال مع أحبائنا والوصول إلى المعلومات بسرعة، فقد ساهمت أيضاً في حدوث مجموعةٍ من مشكلات الصحة العقلية، ومن أبرز الآثار المترتبة على ذلك زيادة الشعور بالوحدة والعزلة الاجتماعية، على الرغم من كونهم على اتصالٍ دائمٍ، غالباً ما يشعر الناس بالانفصال وعدم الرضا في علاقاتهم، وهذا يمكن أن يؤدي إلى الاكتئاب والقلق وانخفاض الشعور بالرفاهية، من جهةٍ متممةٍ خلقت وسائل التواصل الاجتماعي ثقافةً المقارنة والمنافسة، حيث يشعر الأفراد بالضغط لتقديم صورةٍ مثاليةٍ للعالم، وهذا يمكن أن يؤدي إلى مشاعر عدم الكفاءة وانخفاض احترام الذات، فضلاً عن القلق والاكتئاب، ولأنَّ الحصول على الاستحسان والتقبل الاجتماعي والرضا والأمان وإشباع الحاجات الفسيولوجية هو هدف السلوك الإنساني، يصبح الاضطراب النرجسي مُرجحاً أكثر في المجتمعات الرقمية، ولهذا الاضطراب نتائج بالغة التأثير على السلوك، ولعلَّ الفارق ذو الدلالة بين المجتمعين الطبيعي والافتراضي هو كون مجموع الأفراد مسؤولين عن وضع معايير السلوك المقبولة بالمجتمع البشري الطبيعي، بينما تسمح خصائص "المجتمعات الافتراضية" للأفراد بوضع معايير خاصة بهم، وبينما يكون السلوك مقبولاً في المجتمع الطبيعي بمجرد انسجامه مع المعايير العامة للمجتمع، يكون السلوك الفردي في المجتمعات الافتراضية مقبولاً بمجرد عدم الاعتراض عليه، وهنا مداخل الليبرالية الحديثة لتدمير البنية الأخلاقية العربية والمستندة إلى العقائد الدينية والمعايير الوضعية المتفق عليها، فالمجتمعات الرقمية تضيف مصدراً جديداً لمصادر تشكّل القيم في المجتمعات الطبيعية يفاقم من أزمتها المتجددة مع كلِّ مرحلة تاريخية، وبالتالي تقاوم من المشكلة الأخلاقية العربية والتي تتجسد في مشكلة القيمة بحدِّ ذاتها ومشكلة المعيار الذي يحدد الفعل الأخلاقي، وفي العصر الرقمي تسعى الليبرالية الحديثة إلى جعل معيار الفعل الأخلاقي ذاتياً، وهنا تصبح "المجتمعات الافتراضية" أداةً من أدوات الليبرالية الحديثة.

المطلب الثالث: الحرب الإدراكية باستخدام التحيزات المعرفية.

نبدأ هنا من حيث انتهينا في الفقرة السابقة أن "المجتمعات الافتراضية" أداةً من أدوات الليبرالية الحديثة، لترسيخ قيمها من جهة، وتدمير القيم الاجتماعية الأخلاقية في المجتمع من جهةٍ ثانية، باستخدام طبيعة البيئة

الرقمية وأدواتها وتأثيراتها، ولعلّ أبرز تلك الأدوات هي تعزيز التحيزات المعرفية التي تخدم أجندة الليبرالية الحديثة ذاتها.

الليبرالية الحديثة كأيديولوجيا للعولمة الرابعة حين تدخل في مواجهة مع التراث الثقافي لأي مجتمع، تدخله بصراع فكري، يسمى الحرب المعرفية أو الإدراكية، بهدف السيطرة على العقول وجعل الليبرالية الحديثة بنية الوعي الأساسي فيها، من خلال تكنولوجيا التواصل الرقمي الاجتماعي الذي يدعم التحيز المعرفي المحاذي لليبرالية الجديدة، من خلال آلية (تأثير غرفة الصدى)، فالمجتمعات الاجتماعية الطبيعية أصبحت بعد ثورة الإنترنت مجزأة بسبب غرف الصدى، إذ (تعمل خوارزميات وسائل التواصل الاجتماعي على تخصيص المحتوى وفقاً لتفضيلات المستخدم، وهو ما قد يحدّ من التعرض لوجهات نظر مختلفة، مما يخلق تأثير غرفة الصدى)^{٣٢}، ومن جهة أخرى تعزز غرف الصدى ما يُعرف بالصراعات الثقافية من خلال الاستقطاب الجماعي^{٣٣}، حيث يجذب المستخدمون نحو المجموعات التي تتشارك معهم وجهات نظر مماثلة، وهو ما قد يؤدي إلى تكثيف المعتقدات القائمة وتقليل التعرض لوجهات نظر متنوعة، ويقمها في صراعات ثقافية مع مجموعات اجتماعية أخرى لها قيم ومعتقدات متناقضة.

فالحرب المعرفية المبنية على التحيزات هي جزء من "الهندسة الاجتماعية" التي تدرس العمليات الاجتماعية التي تؤثر فيها التقنيات الرقمية على الأفكار والتصورات والأفعال.

أعادت تكنولوجيا المعلومات تشكيل الصراع الدولي ومفاهيمه، ومنها مصطلح الحرب المعرفية الذي يعدّ وليد الثورة التكنولوجية، ولم يظهر معاصراً في المعاجم السياسية إلاّ خلال العامين الماضيين، الأمر الذي دعا الجنرال ديفيد ل. جولدفين (القوات الجوية الأمريكية) للقول إننا ("نتنقل من حروب الاستنزاف إلى حروب الإدراك")^{٣٤}، إنّ الحرب المعرفية (CW) Cognitive warfare هي شكل غير تقليدي من أشكال الحرب تستخدم أدوات إلكترونية لتغيير العمليات الإدراكية للعدو المستهدف، واستغلال التحيزات العقلية أو التفكير الانعكاسي بهدف إثارة التشويشات الفكرية، والتأثير على صنع القرار، وإعاقة الإجراءات، مع تأثيرات سلبية، على المستويين الفردي والجماعي، تستهدف العقل البشري، تحديداً الوعي والإدراك، أي الآليات التي تحكم التفكير والعواطف والتجارب الحسية التي تسمح لنا بفهم العالم وتشكيل تمثيل داخلي له والتصرف فيه في نهاية المطاف، ما يهنا هنا في هذا البحث هو التعمق في التحيزات المعرفية لفهم آلية تعزيز هذه التحيزات ضمن الحرب الإدراكية التي تعدّ من أدوات الليبرالية الحديثة، فالتحيزات المعرفية نوعين^{٣٥}: (النوع الأول يدور حول التفكير السريع، يتم من خلاله الوصول إلى الاستنتاجات تلقائياً دون تفكير، وبالتالي لا يتطلب الأمر الجهد العقلي، وعادة ما يخلق مشاعر خاطئة، والنوع الثاني يسمى ويتضمن التفكير البطيء، ويتميز بأنه مدروس وعقلاني، ويقوم على الأنشطة العقلية التي تتطلب المزيد من الجهد ويتم تنشيطها وتطويرها فقط من خلال الأنشطة التي تتطلب جهداً عقلياً)، والنوع السائد من التفكير حول العالم هو النوع الأول، حيث يميل البشر إلى ارتكاب

³² Diaz Ruiz, Carlos; Nilsson, Tomas (2023). "Disinformation and Echo Chambers: How Disinformation Circulates in Social Media Through Identity-Driven Controversies". Journal of Public Policy & Marketing. 4 (1): 18–35.

³³ IBID.

³⁴ Staff Sgt. Megan Friedl, " Goldfein delivers Air Force update", NATIONAL HARBOR, Md. (AFNS), Published Sept. 19, 2017, Retrieved 7/7/2024: <https://www.af.mil/News/ArticleDisplay/Article/1316603>

³⁵ Tad Bogdan, HOW TO MASTER THE UNIVERSE: A guide for mastering your personal, interpersonal and professional lives, publisher: Tad Bogdan, 2022, p 35.

الأخطاء بسبب التحيزات المعرفية، وهنا سيناقدش الباحث أبرز التحيزات المعرفية الخاصة بموضوع البحث فقط ومن أهمها:

- **الاستدلال الاحتمالي:** بمعنى الميل إلى إعطاء قيمة أكبر للمعلومات المشحونة عاطفياً على نطاق واسع، وهي السمة الأساسية للمجتمعات الرقمية.
- **تأثير التثبيت:** التمسك بالمعلومات المعروفة واستخدامها كمرجع، رغم افتقارها إلى المنطق.
- **أثر القطيع:** الانجراف برأي أو حكم سائد.
- **الثقة الزائدة:** اتخاذ القرارات بناءً على رأيك وحدسك وحدك، مع إهمال حقيقة أن التعلم عملية مستمرة وكذلك الحاجة إلى تنويع مصادر المعرفة.
- **الواقعية الساذجة: Naïve Realism** الميل البشري للاعتقاد بأننا نرى العالم من حولنا بموضوعية، وأن الأشخاص الذين يختلفون معنا غير مطلعين أو غير عقلانيين أو متحيزين³⁶.
- **تأثير دانينج كروجر: Dunning-Kruger Effect** كلما قلت معرفتك، زادت ثقتك بنفسك، وكلما عرفت أكثر، قلت ثقتك بنفسك، هو انحياز معرفي، يشير إلى ميل الأشخاص غير المؤهلين للمبالغة في تقدير مهاراتهم.
- **الانحياز التأكيدي: Confirmation Bias** نميل إلى إيجاد وتذكر المعلومات التي تؤكد تصوراتنا فقط³⁷.

- **انحياز المعتقد: Belief Bias** هو ميل في التفكير المنطقي إلى الاعتماد على المعتقدات السابقة بدلاً من اتباع المبادئ المنطقية³⁸.

وبعد سردنا السابق لأبرز التحيزات المعرفية لابد من فهم آلية تعزيز هذه التحيزات ضمن الحرب الإدراكية، فالأخيرة هي بالمنطق النهائي "عملية تضليل نفسي" وإضعاف متلقي المعلومات تدريجياً، وبالتالي توجيه الخطاب العام، وذلك لتصنيع تصدعات في الانسجام المجتمعي وللضرر بالثقة في المؤسسات، وزرع الفتنة والاضطرابات الدائمة لإضعاف مجتمع الدولة المستهدفة من الداخل، فتحيزاتنا المعرفية المتأصلة تجعلنا عرضة للتلاعب والاستغلال من قبل أولئك الذين لديهم أجندة يدفعون بها (ليبراليو مابعد الحداثة)، وخاصة إذا كان بإمكانهم تسخيف وحجب جميع مصادر المعلومات الأخرى.

خاتمة البحث

تمثل الليبرالية الحديثة اتجاهاً فلسفياً عديماً، عبثياً، فوضوياً، ملتصقاً بالرأسمالية الساعية للهيمنة (Wild Capitalism)، منبثق من فلسفة ما بعد الحداثة، لا يرى بالدولة إلا إطاراً تنظيمياً يحتكر العنف - فقط - لحماية الفردانية المطلقة، ولا يعترف بالمجتمع كنسق بنيوي قيمّي وأخلاقي، بل يراه "شرّاً مطلقاً" يقيد من حرية الفرد المنعق من إكراهات الأخلاق المجتمعية، متمردٌ عليها، غير معترفٍ بضوابطها، لا تقيده ضوابط عقلية، بل ضوابط "ذاتية" تحت مسمى "حرية الضمير" بمعنى: كل إنسان هو معيار ذاته سلوكياً طالما لا يؤذي الآخرين

³⁶ James Joseph Scheurich, Research Method in the Postmodern, Falmer Press Publisher, 1997, p31.

³⁷ Hart, William; Albarracin, D.; Eagly, A. H.; Brechan, I.; Lindberg, M. J.; Merrill, L. (2009), "Feeling validated versus being correct: A meta-analysis of selective exposure to information", Psychological Bulletin, 135 (4): 555-588,

³⁸ Robert J. Sternberg; Jacqueline P. Leighton (2004). The Nature of Reasoning. Cambridge University Press. p. 300. ISBN 978-0-521-00928-7. Retrieved 9/7/2024.

مادياً، بالتالي الليبرالية الحديثة هي اتجاه تفكيكي للمجتمعات الإنسانية على المستوى الاجتماعي والقيمي، وإذا كانت الرأسمالية الجديدة هي قارب الصعود، فالثورة الرقمية سيما التواصل الاجتماعي الرقمي من خلال "المجتمعات الافتراضية" هي بيئة الانتشار وميدان الأيديولوجيا وأداتها في آن، لما تمتلكه البيئة الرقمية من خصائص تمكن الليبرالية الحديثة من الانتشار، كالتحيزات المعرفية، والسرية المطلقة التي تطلق معها فردانية نرجسية منفلة، والخوارزميات الرقمية التي تركز "غرف الصدى" لتأكيد التحيز المعرفي الذي يدعم توجه الليبرالية الحديثة، **بالختام:** حاول هذا البحث الإجابة عن تساؤلات موضوعية حول الليبرالية الجديدة وعلاقتها بسياق ما بعد الحداثة، وما بعد الإنسانية، والمخاطر المتوقعة على بنية المجتمعات الإنسانية سيما من الناحية الأخلاقية والقيمية، **وتوصل البحث إلى نتائج موضوعية، أبرزها:**

١. الليبرالية الحديثة هي أيديولوجيا ما بعد حداثة تهدف لتصنيف البشر، وفق المبدأ العام للمنافسة الإنسانية، تدعو إلى مبدأ المنافسة في العلاقات الإنسانية، والنظام القيمي ما بعد الحداثي هو نظام القيم النيوليبرالية، الذي يدعو لدور أقل للدولة في نظام أخلاقي فوضوي فردي وليس جمعي تعاقدي انفاقي،
٢. يدعو الفكر الليبرالي ما بعد الحداثي إلى بناء الوعي ذاتياً وليس مجتمعياً، فهو داعم للنسبية المعرفية والأخلاقية، والهدف هو إسقاط قيمة العقل نهائياً ليصبح الفعل أخلاقياً في الليبرالية الحديثة حسب الرغبة الفردية، والهدف تسويغ الشذوذ الجنسي ليصبح طابعاً مميزاً لسمات ما بعد الحداثة ومنتجها النيوليبرالي (الليبرالية الحديثة) قيمياً وأخلاقياً.
٣. إن اللامركزية البشرية التي أثارها تيارات ما بعد الإنسانية، والتسليع الإنساني التي أثارها النيوليبرالية، غيرتا طبيعة الإنسان، قيمياً وأخلاقياً، لذلك (ما بعد الإنسانية النيوليبرالية) هي أيديولوجيا ما بعد الإنسانية والتي تبني الإنسان على صورة سوق رأسمالية مفرطة تفضل البياض والذكورة والمثلية الجنسية والهويات الجنسية المتغيرة.
٤. في عالم ما بعد الإنسانية النيوليبرالية ستدور الأجساد والرغبة في حلقات سيررانية من المعلومات، تتطلق فيها الغرائز الشهوانية، بلا قيود، مشفرة بلا ضوابط، فيصبح المجتمع البشري معها أكثر غرائزية، وأقل أخلاقية، وأكثر اعتقاداً من فكرة الحرام والخطأ.
٥. تتسلل الليبرالية الحديثة إلى الثقافة العربية من بوابة (العقل الشكوكي الظنوني) الذي تروج له الليبرالية الحديثة عبر المجتمعات الافتراضية مستعينة بالتحيزات المعرفية وغرف الصدى التي يخلقها التعامل مع البيئة الرقمية، وعليه فإن العقل الشكوكي هو أداة الليبرالية الحديثة في اختراق العقل الثقافي، والهدف أن تسود العدمية كتيار مهيم على الثقافات.
٦. تضيف "المجتمعات الرقمية" مصدراً جديداً لمصادر تشكل القيم في المجتمعات الطبيعية، يفاقم من أزمتها المتجددة مع كل مرحلة تاريخية، وبالتالي تقاوم من المشكلة الأخلاقية العربية، والتي تتجسد في مشكلة القيمة بحد ذاتها ومشكلة المعيار الذي يحدد الفعل الأخلاقي، وفي العصر الرقمي تسعى الليبرالية الحديثة إلى جعل معيار الفعل الأخلاقي ذاتياً، وهنا تصبح "المجتمعات الافتراضية" أداة من أدوات الليبرالية الحديثة.

التوصيات:

على اعتبار أن الليبرالية الحديثة هي اتجاه تفكيكي -تقويزي مدمر للمجتمعات الإنسانية اجتماعياً وقيماً، يهدف إلى إسقاط قيم العقل والقيم الخلقية، لنشر نسبية الأخلاق والعلاقات الإنسانية، وإطلاق الغرائز، وهدم العقائد بداعي النسبية العلمية والعقلية، لابد من مواجهة أسس هذه الليبرالية الحديثة من خلال:

أولاً: ترسيخ قيم العقل لمواجهة الاتجاه الظنوني الذي يستند إليه الاتجاه الليبرالي مابعد الحداثي.

ثانياً: ترسيخ قيم الأسرة والمجتمع، والحفاظ عليهما باعتبارهما نواة التنظيم المجتمعي السليم، فالأسرة هي الحامل للعادات والتقاليد والثقافة.

ثالثاً: الوعي الرقمي على مستويين: الأول على مستوى استخدام التكنولوجيا ومخاطرها على القيم والأخلاق الفردية، والمستوى الثاني على مستوى الوعي بمخاطر "المجتمعات الافتراضية" التي تعيد بناء المجتمعات كنسق اجتماعي متكامل مختلف عن المجتمعات البشرية الطبيعية.

رابعاً: التمسك بالهوية الوطنية والحفاظ عليها، باعتبارها الضامن للمجتمع، فالهوية هي حامل تاريخي للثقافة بكل أبعادها.

قائمة المراجع

أولاً: الكتب العربية والمترجمة للعربية.

١. تيري اليغون، مابعد الحداثة-تحديات، ترجمة وإعداد: محمد سيلا وعبد السلام بنعبد العالي، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط ١، ٢٠٠٧).
٢. جاك ريدا، استراتيجيات تفكيك الميتافيزيقيا، ترجمة: عز الدين الخطابي، (الدار البيضاء: إفريقيا الشرق، ط ١، ٢٠١٣)، (مقدمة المؤلف).
٣. حسن عبد الرازق منصور، المجتمع العربي-بين التاريخ والواقع، (دبي: المنهل، ط ١، ٢٠١٣).
٤. رواء محمود حسين، إشكالية الحداثة في الفلسفة الإسلامية المعاصرة-دراسة وصفية، (دمشق: دار الزمان للطباعة والنشر، ط ١، ٢٠١٠).
٥. عادل مصطفى، فهم الفهم - مدخل إلى الهرمنيوطيقا نظرية التأويل من أفلاطون إلى جادام، (القاهرة: دار رؤية، ط ١، ٢٠٠٧).
٦. مقاربات في الحداثة ومابعد الحداثة-حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر، ترجمة وتقريب: محمد الشيخ وياسر الطائي، (بيروت: دار الطليعة، ط ١، ١٩٩٦).
٧. نصر حامد أبوزيد، إشكاليات القراءة وأليات التأويل، (بيروت: المركز الثقافي العربي، ط ٢، ١٩٩٢).
٨. هايدغر، الفلسفة في مواجهة العلم والتقنية"، ترجمة: فاطمة الجيوشي، (دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٨٨)، ص ٢١.

ثانياً: الدوريات العربية.

١. أحمد زايد، الهرمنيوطيقا وإشكاليات التأويل والفهم في العلوم الاجتماعية"، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، (قطر: جامعة قطر، العدد ١٤، ١٩٩١).
٢. أحمد زايد، الهرمنيوطيقا وإشكاليات التأويل والفهم في العلوم الاجتماعية"، حولية كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، (قطر: جامعة قطر، العدد ١٤، ١٩٩١).

References in foreign languages

THIRD: THE BOOKS.

1. Adams, Ian (2001). *Political Ideology Today (Politics Today)*. Manchester: Manchester University Press

2. Alfredo Saad-Filho and Deborah Johnston, *NEOLIBERALISM A Critical Reader*, London: First published 2005 by Pluto Press.
3. Buchanan, J. (1986) *Liberty, Market and State. Political Economy in the 1980s*, Brighton, Wheat sheaf Books.
4. Burgin, Angus (2012). *The Great Persuasion: Reinventing Free Markets since the Depression*. Harvard University Press
5. Daniel Stedman Jones, *Masters of the Universe: Hayek, Friedman, and the Birth of Neoliberal Politics* (Princeton: Princeton University Press, 2012).
6. For more: DeRose, Keith; Warfield, Ted A. (1999). "1. Introduction: Responding to Skepticism". *Skepticism: A Contemporary Reader*. Oxford University Press.
7. For more: COOPER, MELINDA. "LIFE BEYOND THE LIMITS: Inventing the Bioeconomy." *Life as Surplus: Biotechnology and Capitalism in the Neoliberal Era*, University of Washington Press, 2008.
8. Freedman, Michael (1978). *The New Liberalism: An Ideology of Social Reform*. Oxford: Oxford University Press.
9. Harvey, David, 'The Neoliberal State', *A Brief History of Neoliberalism* Oxford, 2005; online edn, Oxford Academic.
10. James Joseph Scheurich, *Research Method in the Postmodern*, Falmer Press Publisher, 1997.
11. Philip Mirowski and Dieter Plehwe, eds, *The Road From Mont Pèlerin: The Making of the Neoliberal Thought Collective* (Cambridge, Mass: Harvard University Press, 2009)
12. Robert J. Sternberg; Jacqueline P. Leighton (2004). *The Nature of Reasoning*. Cambridge University Press
13. Suarez-Villa, Luis. *Technocapitalism: A Critical Perspective on Technological Innovation and Corporatism*. Temple University Press, 2009.
14. Tad Bogdan, *HOW TO MASTER THE UNIVERSE: A guide for mastering your personal, interpersonal and professional lives*, publisher: Tad Bogdan, 2022.
15. Von Hayek, Friedrich A. (9 July 2006). *The Road to Serfdom*, by F. A. Hayek – why the continual expansion of the state endangers liberty. CreateSpace Independent Publishing Platform

FOURTH: Scientific journals

1. Bruno Amable, "Morals and politics in the ideology of neo-liberalism", *Socio-Economic Review* (2011) 9, 3–30.
2. Diaz Ruiz, Carlos; Nilsson, Tomas (2023). "Disinformation and Echo Chambers: How Disinformation Circulates in Social Media Through Identity-Driven Controversies". *Journal of Public Policy & Marketing*. 4 (1): 18–35.
3. Hart, William; Albarracin, D.; Eagly, A. H.; Brechan, I.; Lindberg, M. J.; Merrill, L. (2009), "Feeling validated versus being correct: A meta-analysis of selective exposure to information", *Psychological Bulletin*, 135 (4): 555–588
4. MacManus, Deirdre; Fahy, Tom (August 2008). "Personality disorders". *Medicine*. 36 (8): 436–441.
5. Roope Raisamo, Ismo Rakkolainen, Päivi Majaranta, "Human augmentation: Past, present and future, Tampere Unit for Computer-Human Interaction TAUCHI, Faculty of Information Technology and Communication Sciences, Tampere University, International journal of human computer studies, 2019, Vol. 131, 134.

6. SULAFA NOFAL, "The historical roots of neoliberalism: origin and meaning, Brazilian Journal of Political Economy, vol. 43, n° 3, pp. 576-591, July-september/2023.

FIFTH: Various references

1. Human Augmentation Market, Ottawa: Precedence Research, Published: March 2024, Report Code: 3645, Retrieval 8/7/2024, <https://www.precedenceresearch.com/human-augmentation-market>.
2. Kagan, Shelly, 'Nihilism', Answering Moral Skepticism (New York, 2023; online edn, Oxford Academic, 23 Nov. 2023), <https://doi.org/10.1093/oso/9780197688977.003.0004>, accessed 9 July 2024.
3. Underwood K. (2017). "Cognitive Warfare Will Be Deciding Factor in Battle: Lt. Gen. Stewart's remarks at DoDIIS17". Signal, The cyber edge. <https://www.afcea.org/content/cognitive-warfare-will-be-deciding-factorbattle> . <https://youtu.be/Nm-IVjRjLD4> .
4. NATO ACT, "Cognitive Warfare: Beyond Military Information Support Operations," NATO ACT (blog), May 09, 2023, <https://www.act.nato.int/article/cognitive-warfare-beyond-military-information-support-operations/>, B-2
5. Stephen Metcalf, "Neoliberalism: the idea that swallowed the world", the guardian, 18 Aug 2017, Retrieved 7/7/2024: <https://www.theguardian.com/news/2017/aug/18/neoliberalism-the-idea-that-changed-the-world>.
6. Staff Sgt. Megan Friedl, "Goldfein delivers Air Force update", NATIONAL HARBOR, Md. (AFNS), Published Sept. 19, 2017, Retrieved 7/7/2024: <https://www.af.mil/News/ArticleDisplay/Article/1316603>